الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي
شوقي عبد الكريم، المجلد الثاني عشر، العدد 1، أبريل 2021،
ص ص 394-414

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

# الأوضاع السياسية بالجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي
# وظروف انضوائها تحت راية الخلافة العثمانية

The political situation in Algeria at the beginning of the sixteenth century and the conditions of its emergence under the banner of the Ottoman Califate

**عبد الكريم شوقي (*)**
**جامعة الجزائر 2، الجزائر**
krimchougui@gmail.com

تاريخ الإيداع: 25/11/2020 تاريخ القبول: 2021/04/15 تاريخ النشر: 2021/04/30

**الملخص:**

يتناول هذا المقال بالدراسة جانب من جوانب تاريخ الجزائر الحديث، والمتمثل في تاريخ "أوضاع الجزائر في مطلع القرن السادس عشر وظروف انضوائها تحت راية الخلافة العثمانية"، وهو الامر الذي أحاول من خلاله اماطة اللثام على بعض الجوانب الهامة في فترة من الفترات الحساسة والهامة في تاريخ الجزائر، وكل بلاد المغرب، بل وفي البحر المتوسط، وذلك لكونه فاتحة عهد جديد سوف يكون له الأثر البالغ في تطور الاحداث بالمنطقة وما يحيط بها لمدة تفوق الثلاثة قرون. لقد كان ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية من عام 1519م وإلى غاية 1830م ارتباطا خاصا، اختلف في جوهره وظاهره عن غيره من الأقاليم والدول التي انضوت تحت رايتها، وذلك لعدة معطيات وظروف سوف يتم ذكرها في مقامها، وللوقوف على حقيقة ذلك الارتباط، وكيفية تطور الوضع السياسي بالجزائر في مختلف مراحل تلك الفترة، سوف يتم التعرض لمختلف جوانبه، وأهم أحداثه وحكامه، من خلال مجموعة من المقالات، نستهلها بالوقوف عند أوضاع الجزائر في مطلع القرن السادس عشر وظروف انضوائها تحت راية الخلافة العثمانية، في محاولة للإحاطة قدر الإمكان بالموضوع، باستعراض أهم التطورات التي عرفها المكان والزمان، وكذا مختلف الجهود التي بذلت خدمة للجزائر، والخلافة العثمانية، والأمة الإسلامية.

**الكلمات الدالة:**
الجزائر ، الخلافة العثمانية ،عرج ، خير الدين ، اسبانيا ، تلمسان

(*) المؤلف المرسل : شوقي عبد الكريم krimchougui@gmail.com

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

**Abstract:**

This article examines one aspect of the modern history of Algeria, which is represented in the history of "the situation of Algeria at the beginning of the sixteenth century and the circumstances of its membership under the banner of the Ottoman Caliphate", which I am trying to unveil on some important aspects in a period of sensitive and important periods in the history of Algeria, and all the countries of the Maghreb, and even the Mediterranean, because it is the beginning of a new era that will have a profound impact on the development of events in the region and its surroundings for more than three centuries. Algeria's association with the Ottoman Alliance from 1519 AD until 1830 CE was a special one, which differed in its essence and its appearance from other regions and countries that fell under its banner, due to several facts and circumstances that will be mentioned in its place, and to find out the reality of that link, and how the political situation in Algeria developed Throughout the various stages of that period, various aspects of it and its most important events and rulers will be exposed, through a set of articles, which we begin by standing at the conditions of Algeria at the beginning of the sixteenth century and the circumstances of its membership under the banner of the Ottoman Caliphate, in an attempt to surround as much as possible the topic, reviewing the most important developments that He knew This is the place and the time, as well as the various efforts that were made to serve Algeria, the Ottoman Caliphate, and the Islamic Ummah

**Key Words:**
Algeria ; the ottoman caliphat ; Aruj ; kheir e-din ; Spain ; Tlemcen

**********

**مقدمة:**

لعبت الجزائر منذ فجر التاريخ أدوارًا حاسمة في منطقة شمال إفريقيا، وكذا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وذلك للموقع الهام الذي احتلته بتوسط منطقة بلاد المغرب، بين المغربين الأدنى من الشرق، والمغرب الأقصى من الغرب، فشكلت بذلك العمق الاستراتيجي للمنطقة، وكانت بذلك الدولة الأكثر تأثيرًا في تطور الأحداث بالمنطقة، والأكثر تأثرًا بها، سواءً في العصر القديم وخاصة بعد توحيدها تحت اسم مملكة نوميديا، أو العصر الوسيط أين أصبحت تدعى بلاد المغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي لها، وصولا إلى العصر الحديث حيث أخذت اسم الجزائر واستمرت على ذلك الحال إلى اليوم، لذلك كانت دوما الهدف الأول لأي عمل عسكري أو دعوي أو إيديولوجي. واستمر الحال على ذلك النحو إلى يومنا هذا.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

كما كان غناها وثرواتها المتعددة والمتنوعة أيضا، دومًا سببا في كثرة مطمع الغزاة، ومسرح كبرى المعارك والصراعات، التي تعددت وسائلها وتنوعت أساليبها، حسب ظروف ومعطيات كل حلقة من حلقات تلك المسيرة الحافلة سواءً بالصدامات والمحن، أو بالانتصارات والامجاد.وعرفت المنطقة وبلاد المغرب عامة، وعلى الخصوص بلاد المغرب الأوسط أي الجزائر مع نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر ميلاديين، تطورات ومستجدات جد هامة كان لها الأثر البالغ في تطور الاحداث ومسارها، بالمنطقة المذكورة أي في بلاد المغرب، أو فيما جاورها، سواءً وفي الحوض الغربي للبحر المتوسط، أو حتى في الحوض الشرقي منه، وذلك لمدة تجاوزت الثلاثة قرون، أي طوال فترة العصر الحديث.

لقد أدى سقوط أخر إمارة إسلامية في الاندلس، والمعروفة بإمارة بني الأحمر في غرناطة عام 1492م على يد الاسبان الذين استكملوا تحقيق وحدتهم، إلى تكالبهم على سواحل بلاد المغرب، والتي منها سواحل الجزائر قصد غزوها واحتلال مدنها، والانتقام من سكانها، واستباق كل تفكير أو تخطيط لاتخاذها كمحطات لانطلاق أي محاولة لاسترجاع الاندلس، أو لعودة الاندلسيين نحو بلادهم، وبذلك شرع في عمليات غزوهم تلك عام 1505م، مما اضفى على المنطقة حالة من الفوضى وعدم الاستقرار محور هذه الدراسة.

**أوضاع الجزائر قبيل التحاقها بالخلافة العثمانية:**

لقد تميزت أوضاع الجزائر ومنطقة بلاد المغرب بالتدهور خاصة مع نهاية القرن الخامس عشر، ومطلع القرن السادس عشر الميلاديين، وذلك بسبب الضعف والهوان الناتج عن النزاع الذي كان يقوم بين دول المنطقة آنذاك (الزيانيين[1]، الحفصيين[2]، الوطاسيين[3])، من أجل السلطة وتوسيع النفوذ، وكذا بسبب التنافس والتناحر الذي كان يقوم بين أفراد الأسر الحاكمة في تلك الدول، التي أصبح كل فرد من أفرادها يرى أنه الأجدر بتولي الحكم وعلى الجميع طاعته والانصياع له، مما أضعفهم وأنهك قواهم وأدى أخيرا إلى تجزئهم وتفككهم وتقلص نفوذهم أكثر فأكثر[4].

وقد كان المتنافسون يضطرون إلى الاستعانة بالقبائل المحلية، التي كانت تستغل حاجاتهم إليها، وضعفهم لتتنمر عليهم، وتقلص نفوذهم إلى حد كبير، مما أدى إلى تدهور أوضاعهم الاقتصادية نتيجة نقص مواردهم، بخروج مناطق عديدة عن سلطتهم، واضطرار تلك الدول إلى تقديم قسط كبير من مداخيلها القليلة إلى تلك القبائل، حتى تأمن شرها، مما كان له انعكاسه على القدرات العسكرية والاقتصادية، فلم يعد بإمكانها أن تقيم الجيوش

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

النظامية الكبيرة العدد، ذات التجهيز القادر على إخضاع تلك القبائل، والمناطق المتمردة عليها أو الحيلولة دون استقلالها.كما ساهمت القوى الدينية والطرق الصوفية الناقمة عن سياساتها في زيادة تدهور أحوالها وأوضاعها، بتأليب الرعية على ملوكها، وذلك بذكر مفاسدهم ومساوئهم، التي أبانت عجزهم في الدفاع عنهم، مما قلص نفوذهم، وأضعف شأنهم إلى حد كبير في نظر رعاياهم[5].

لقد كانت تلك الأوضاع مشتركة ومترابطة وتسود في كل دول المغرب آنذاك، بحيث لم تكن تختلف عن بعضها البعض من حيث حالة الضعف والفوضى والتناحر، وحتى التعامل مع العدو من أجل تحقيق مصالح ضيقة، أو التوسع واقتطاع أراضي الجار ولو اقتضى ذلك الخيانة والتآمر.أما بلاد المغرب الأوسط أي الجزائر، والتي كانت أراضيها آنذاك موزعة بين كل من الدولة الحفصية في الشرق، والدولة الزيانية في الغرب والوسط، مع خضوع الحدود بينهما إلى التمدد والتقلص في الكثير من المرات، نتيجة الصراع الدائم والمستمر بينهما، فقد كانت تعاني من وضع عام صعب وغير مستقر، حيث أدى الضعف الذي وصلت إليه تلك الدولتين في تلك المرحلة من التاريخ إلى فقدانها للسيطرة على أقاليمها ومناطق نفوذها، مما نتج عنه انقسام الدولتان وتجزأت أراضيها إلى دويلات وإمارات ووحدات سياسية صغيرة متنافرة ومتقاتلة، لا يسود بينها الوئام، فأغلب المدن الساحلية كوهران، وتنس، وشرشال، والجزائر، ودلس، وبجاية، وجيجل، والقل، وغيرها، كانت في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، إما تحت حكم أمير زياني منشق عن الدولة الزيانية، كأبي يحيى بن محمد الزياني في تنس، أو عن الدولة الحفصية، كعبد الرحمان الحفصي في بجاية، أو تحت حكم مجلس منتخب أو مختار من سكان المدينة، كوهران، أو شيخ قبيلة كسالم التومي، شيخ قبيلة الثعالبة في "مدينة الجزائر"[6].

أما المناطق الجبلية فكانت كلها مستقلة، وتأسست في بعضها إمارات ذات أصل مرابطي، أو شريفي، من أهمها: إمارة بني عباس في زواوة الشرقية في جنوب بجاية، وإمارة كوكو الواقعة إلى الغرب من الإمارة الأولى في زواوة الغربية[7].أما المدن الداخلية فقد استقلت هي الأخرى تحت حكم بعض الأسر، كأسرة بني جلاب في تقرت، وعلاهم في ورقلة، بجنوب الجزائر، وغيرها من المدن، وسادت القبائل على المناطق السهلية كبني عامر في القطاع الوهراني، والذواودة في القطاع القسنطيني.[8]

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

**الاحتلال الاسباني لمدن ساحل بلاد المغرب الأوسط:**

لقد نتج عن الصراعات الداخلية، والنزاعات الجهوية بين دول المغرب آنذاك، تعرضها إلى تحرشات استعمارية أوربية قوية، بحيث كانت عدة مدن ساحلية من المغرب الأوسط آنذاك، أهدافًا سهلة لحملات عسكرية بحرية إسبانية، سقط على إثرها العديد منها، إما في فك الاحتلال المباشر بالقوة والنار، أو في دائرة التبعية والخضوع والموالاة بسبب الخوف والخيانة[9].

ولم يتأت للأسبان تحقيق ما حققوه في المغرب الأوسط من توسعات وتأثير في مجريات الأمور، إلا بعد قيامهم بعمل تجسسي محكم ودقيق على المنطقة، مما شجعهم على المخاطرة والقدوم إلى شمال إفريقيا، بعد ان كانت حروبهم وتوسعاتهم تقتصر على إمارات وممالك الأندلس، وذلك بعد اطلاعهم بشكل دقيق ومفصل على حالة الفوضى والتطاحن التي كانت تسود البلدان المغاربية، من خلال التقارير التي رفعت خاصة إلى الملك فيرديناند[10]، الذي كان حريصا على متابعة تطور الأحداث في المنطقة عن كثب[11].وقد جند في سبيل ذلك المال والرجال، حيث جاءه في تقرير أحد جواسيسه بالمنطقة، ما يحثه على غزو بلاد المغرب واحتلالها، وذكر فيه: "أن كامل بلاد شمال إفريقيا يجتازها فترة انهيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد أن يجعل هذا البلد ملكا لصاحبى الجلالة المسيحية"[12]. ومع ذلك فقد تردد الملك فيرديناند، والملكة ايزابيلا[13] في الإقدام على مهاجمة البلاد ولم يتحقق المشروع إلا بعد موت الملكة إيزابيلا عام 1504م، وحرص الاسبان على تنفيذ وصاياها، التي تركتها وألحت فيها على المضي في تحقيق مشاريعها التوسعية الصليبية الانتقامية في بلاد المغرب، ولاسيما المغرب الأوسط منه[14].

ولقد شُرع في القيام بالحملة الاسبانية على مملكة تلمسان فعليا، وذلك انطلاقا من المعلومات الاستخباراتية والخرائط المهمة، المتحصل عليها بفضل المهمة التجسوسية، التي قام بها حاكم القلعة الأندلسية لورانزو باديلا Lorenzo Padilla لبلاد المغرب الأوسط، في زي تاجر، بحيث جهّز الملك فرديناند حملة عسكرية ضد السواحل الجزائرية، اسند قيادتها إلى دون دييغو فرناندیز Don Diego Fernandez[15]، وذلك في اتجاه ميناء مرسى الكبير[16]، حيث وصلته يوم 11 سبتمبر عام 1505م ونجحت في دخوله[17]. ثم جاء دور مدينة وهران[18] في منتصف شهر ماي من عام 1509م[19]. ونفس المصير كان ينتظر المدن الجزائرية الساحلية الأخرى، حيث تعرضت تباعًا لهجمات إسبانية، فبعد وهران جاء الدور على مدينة بجاية[20] في مطلع عام 1510م[21]، ثم أقدم الاسبان على احتلال المواقع الأخرى في الشرق كطرابلس[22]، وجزيرة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

جربة[23]، في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، أما في الحوض الغربي منه فاحتلوا عنابة[24]، وأعظم منها العاصمة الحفصية تونس، وغيرها، وأقامت في بعضها حاميات قوية، كحلق الوادي[25]. مستغلة ما آل إليه الحفصيون في الشرق الجزائري وتونس وطرابلس من وهن وضعف وأخذت تراقب الوضع عن كثب، وتتحكم في تطور الأوضاع، غير أنها عجزت في الوصول إلى المناطق الداخلية، أو بالأحرى أحجمت عن ذلك لنقص المعلومات الاستخباراتية وخوفها من المغامرة، وكذلك لقوة مقاومة القبائل الداخلية[26].

وأمام بشاعة المجازر التي كان يرتكبها الاسبان في المدن المحتلة، فقد سارعت باقي المدن الساحلية خاصة بالإذعان للأسبان دون قتال، بل أقدمت على تقديم فروض الولاء والطاعة، وعقد المعاهدات الخضوع. وفي ذلك الإطار سارع أعيان مدينة الجزائر إلى إرسال وفد تحت قيادة شيخهم سالم التومي إلى الاسبان في بجاية بعد أيام من احتلالها، وذلك من أجل الاذعان الطوعي، والمصحوب بتنازلات لم يكن الاسبان يحلمون بها، والتي منها السماح بإقامة حصن إسباني على أكبر الجزر الصخرية المقابلة لميناء المدينة (البينيون)، والذي جعل مدينة الجزائر تحت رحمة الاسبان مدة ثماني عشرة سنة، أي منذ عام 1511م وإلى غاية نجاح خير الدين في تدميره عام 1529م[27].

**ظروف وصول العثمانيين إلى الجزائر:**

لقد كان القرن السادس عشر بحق قرن انبعاث الدولة الجزائرية القوية الموحدة، حيث استطاع أبناؤها بالتعاون مع العثمانيين[28]، أن يؤسسوا قوة سياسية وعسكرية واقتصادية هامة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وقفت الند للند في وجه كل الأطماع الأوربية، سواءً على أرضها أو في باقي الدول الإسلامية المجاورة، بل فرضت نظامها وهيمنتها وسياستها على المنطقة لأكثر من ثلاثة قرون من الزمن، فكانت بحق صخرة تحطمت عليها كل الطموحات التوسعية الأوروبية على بلاد المغرب، خاصة الاسبانية منها التي فشلت في نيل مرادها، واستكمال مشاريعها التوسعية في المنطقة، بل كانت سببا في تقلص نفوذها عن عدة مناطق بأوروبا، نتيجة استنزاف قوتها في حوض البحر المتوسط، أمام الاسطول الجزائري الذي أرهقها وألحق بها خسائر كبيرة، كما استولى على كمية كبيرة من مغانمها التي كانت ترد من العالم الجديد (أمريكا) بعد احتلال أجزاء واسعة منه[29].

وقد ارتبطت الجزائر بصفة رسمية مع الدولة العثمانية منذ نهاية العقد الثاني من القرن السادس عشر ميلادي، وبالضبط منذ نهاية عام 1519م[30] إلى غاية عام 1830م تاريخ بداية

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الاحتلال الفرنسي لها. وكان الوجود العثماني في الجزائر كرد فعل طبيعي في مواجهة التحرشات الصليبية، التي شنها البرتغاليون والاسبان ضد المسلمين في شمال إفريقيا، خاصة بعد سقوط غرناطة، وكذا ضد تحرشاتهم وهجماتهم واحتلالهم، الذي استهدف المدن الساحلية لبلدان المغرب عامة، والمغرب الأوسط خاصة (الجزائرية حاليا)، وخاصة من مطلع القرن السادس عشر الميلادي. وقد كان الأخوة بربروس[31]، عروج[32]، وخير الدين[33]، وإسحاق[34] من أوائل العثمانيين الذين استقروا على أرض الجزائر، وأثروا في مسار الأحداث بها وفي المنطقة الغربية للبحر المتوسط. ولذلك فمن المهم التوسع قليلا في الوقوف عند جهود عروج المؤسس الأول لنواة الحكم العثماني في الجزائر.

وقد اتخذ الإخوة في بداية أمرهم من الموانئ التونسية منطلقا لغزواتهم، بعد أن أذن لهم السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد المتوكل[35]، باستعمالها خاصة موانئ جزيرة جربة الموجودة في الجنوب التونسي، مقابل دفع الخمس من الغنائم وشروط أخرى، فذاع صيتهم، وانتشرت أخبار بطولاتهم في الغزو البحري، الذي طال كل الموانئ والمدن الساحلية الأوروبية المطلة على البحر المتوسط، وخاصة الاسبانية منها، بقصد الجهاد، وإنقاذ أهل الأندلس من جحيم الاضطهاد، والسياسة الاسبانية المعادية للإسلام والمسلمين. كما كانت السفن والمراكب الأوروبية هدفا لهجماتهم التي كانت ترعب الأعداء من جهة، وتزرع الأمل لدى المسلمين المستضعفين الذين كانوا يئنون تحت سيطرة الاسبان وتهديدهم، مما شجع المجاهدين الجزائريين على طلب النصرة منهم والاستنجاد بهم ضد العدو الاسباني[36].فما كان من عروج وجماعته إلا الاستجابة، وتلبية نداء الواجب ونداء الجهاد، وقدموا بأسطولهم إلى السواحل الجزائرية، ثم انطلقوا في مهاجمة القوات الأوربية والاسبانية المرابطة أو المحتلة للمدن الجزائرية، ومحاولة تحرير ما وقع في أيديهم من قبل. وقاموا في هذا الإطار بتحرير العديد منها، ثم شرعوا في توسيع نفوذ العثمانيين بالجزائر، وربط الحكم الذي سوف يستمر لأكثر من ثلاثة قرون كما سبقت الإشارة إليه.

ولقد شُرع في ذلك بعد اتصال أمير قسنطينة[37] أبي زكريا الحفصي، وبعض أعيان ومشايخ بجاية بالرايس عروج ومرافقيه من المجاهدين في تونس عام 1512م، والإلحاح في دعوتهم لإنقاذ مدينتهم من الاحتلال الاسباني، واطلاعهم على جميع الأوضاع والإمكانيات المتوفرة، حيث توجه عروج وجنده عام 1513م إلى بجاية غير أن جواسيس الاسبان كانوا أسرع منه، واستطاعوا نقل الاخبار إلى اسبانيا، التي سبقته بإرسال خمس عشرة سفينة لنجدة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

المدينة، فعجز عروج عن تحقيق مراده أمامها نظرا للفرق الواضح في العدد والعدة، وكذلك لحصانة المدينة وتعزيزاتها[38].

ورغم هبة قبائل المناطق الجبلية المجاورة لنصرته بعد الاتصالات والتحضيرات التي كانت بينهم، إلا أن محاولته لم تحقق نتيجة تذكر ما عدا اغراقه لسفينة اسبانية، واستيلاءه على أخرى، ومحاولته استطلاع الوضع عن كثب براً من أجل رسم خطة محكمة للهجوم على المدينة بالتنسيق مع القبائل المحلية، فأصيب وانسحب إلى تونس أين قطعت ذراعه بأمر من الأطباء، غير أن الاسبان استغلوا هذه الفرصة من أجل تقوية التحصينات والاستعداد للمواجهة من جديد.[39] أما مراجع أخرى فتذكر أن محاولة عروج الاولى لتحرير مدينة بجاية كانت عام 1512م، أي في نفس العام الذي اتصل فيه أهل بجاية به.[40]

حينها أيقن عروج أن وجوده بجربة بعيد نوعا ما عن مدن المغرب الأوسط، وأنه ومن أجل الانطلاق إلى تحرير بجاية والمدن الأخرى يجب أن يكون من مدينة قريبة، فكان الاختيار على مدينة جيجل[41]، أول قاعدة لهم في الجزائر، ابتداءً من عام 1514م، بعد تخليصها من سيطرة الحامية العسكرية المتواجدة بها والتي تعمل لصالح مدينة جنوة[42]، وذلك بعد تخابر واتصالات مع سكانها الذين تم طردهم منها. وبعد تحريرها انتقل في حملة ثانية لتحرير مدينة بجاية، إلا أنه فشل من جديد في دخولها بسبب استماتة القوات الاسبانية المرابطة فيها، ونقص البارود، لرفض سلطان تونس إمداده به، وهناك من يذكر أيضا وجود حملة ثالثة، غير أنها كانت كلها فاشلة[43]. كما يذكر أن عروج في تلك الأثناء قد شرع في إقامة اتصالات مع السلطان العثماني سليم الأول[44]، بإرسال الهدايا وتجديد الولاء والطاعة له، واستجداء الرضا والمباركة له ولنشاطه الجهادي في بلاد المغرب، فكان له ذلك حيث باركه السلطان وبارك نشاطه وأمده بسفينتين ودعمه بالرضا والتوصية عليه لدى سلطان تونس[45].

ثم جاء دور مدينة الجزائر ثاني المدن التي خضعت للإخوة بربروسة، حيث تلقى عروج دعوة من أهالي المدينة وأميرهم سالم التومي في عام 1516م، لتخليصهم من الحامية الإسبانية الموجودة بحصن البينيون، التي كانت تضايقهم، وتشل حركتهم، وتحول دون ممارستهم للغزو البحري، فاستجاب لطلبهم بعدما أمدوه بالمعلومات اللازمة عن الحامية وتحصنها، ودخل المدينة بعد أن قدم إليها براً، واستقبل بحفاوة من طرف سكانها الذين بايعوه على الجهاد، وشرع في مهاجمة الحصن الإسباني، بعد أن استولى على بلدة شرشال المجاورة، ولكن مدفعيته لم تستطع التأثير على الحصن القوى مع أنه لم يكن يبعد عن المدينة بأكثر من 100م، وذلك

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

لصغر حجمها وقصر مداها، وفي تلك الأثناء كان سالم التومي حاكم المدينة السابق، يتصل سراً بالأسبان عن طريق وسطاء، غير أن عروج اكتشف ذلك من خلال جواسيسه، ولاستباق الوضع والإمساك بزمام الأمر، ولإحباط المكيدة فقد أعدم سالم التومي، الذي فر ابنه إلى الاسبان قصد الاحتماء، وطلب النجدة منهم[46].

كما استطاع عروج من إحباط المكيدة، التي دبرت من طرف بعض الأعيان، وعناصر من قبيلة سالم التومي المتذمرة من مقتل شيخهم، بالتنسيق مع الحاكم الاسباني لحصن البينيون، والمتمثلة في التخطيط لإحراق سفن عروج التي كانت على الشاطئ، وحين خروجه وجنده وانشغالهم بإخماد النار التي تشب بها، يقوم المتآمرون بإغلاق أبواب مدينة الجزائر عليهم ويمنعونهم من الدخول، فيسهل على الأعداء المتحالفين القضاء عليهم بكل سهولة، غير أن عروج تفطن للحيلة والمكيدة بعد اطلاعه من طرف جواسيسه على كل تفاصيل المؤامرة، التي كانت شديدة الخطورة ليس على عروج وجنده فحسب، بل على تطور الأحداث واتجاه مسارها في الجزائر والمنطقة برمتها. واستطاع في ظرف قياسي من تدارك الوضع بحزم وشدة، حيث انتقم شر انتقام من جميع المتآمرين وأعوانهم[47].

لقد رأى الاسبان في تعاظم قوة عروج وتوسعاته في المنطقة خطراً محدقا بمصالحهم، حيث أن التقارير الاستخباراتية التي كانت ترد من شبكة عملائهم وأعوانهم وجواسيسهم، التي زرعوها بالمدينة والحصن تنذر كلها بخطورة الوضع، وتراقب عن كثب التحصينات التي شرع عروج في احداثها بالمدينة، خاصة الابراج والمدافع ...الخ[48].فتحركوا بعد أن وصلتهم الاخبار اللازمة، وجهزوا حملة ضخمة في نفس السنة أي عام 1516م للقضاء على خطر عروج قبل استفحاله، وكان ذلك بقيادة دييغو دوفيرا القائد الاسباني المحنك، لكنها باءت بالفشل أمام خطط عروج الدفاعية والهجومية، والتي مكنته من القضاء على 3000 جندي ممن نزلوا إلى الأرض، وأسر 400 منهم. كما ساعدته العاصفة البحرية التي هبت على المدينة في تلك الآونة، فقضت على معظم قطع الأسطول بمن فيها غرقا في البحر[49].

لقد ساعد ذلك الانتصار الذي حققه عروج وجماعته، بالتعاون أيضا مع سكان المدينة والمنطقة المجاورة، على استقرار الأمر لحاكم الجزائر الجديد، فشرعوا معه في تحصين مدينة الجزائر وتقوية دفاعاتها استعداداً للوقوف ضد أي حملة أخرى يقدم عليها الاسبان، كما عملوا على مد نفوذهم إلى مدن أخرى ساحلية وداخلية، في مقاطعة الجزائر وخارجها، كدلس[50]، التي توجد على الساحل في اتجاه الشرق، والتي كانت تمثل ميناء بحري جد هام في

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الملاحة، ومدينة المدية[51] إلى الجنوب من مدينة الجزائر، ومدينة مليانة[52] في اتجاه الغرب، وغيرها من المناطق والمدن. ثم توجهت أنظار عروج إلى الغرب الجزائري، الذي كانت تصله من أعيانه دعوات للقضاء على الحكام الزيانيين الموالين للاسبان، كسلطان مدينة تنس، وسلطان مدينة تلمسان، التي وصلته منهم أخبار ومعلومات استخباراتية تثبت تآمرهما مع الاسبان[53].

وقد تمكن من الانتصار على قوات سلطان تنس في صيف 1517م، فدخل عروج المدينة، ثم تقدم إلى تلمسان ودخلها في سبتمبر 1517م، بعد سحقه لمقاومة أبي حمو الثالث الزياني[54] الموالي للإسبان، وكان قد أقام وهو في طريقه إلى تلمسان حامية في قلعة بني راشد، التي تتوسط الطريق بين تلمسان ومدينة الجزائر لتأمين خط الرجعة إلى هذه الأخيرة ووصول الإمدادات إليه منها أو من الجزائر، وأسند قيادتها إلى أخيه إسحاق. لكن الإسبان وبتواطؤ مع الخونة والجواسيس، وعلى رأسهم السلطان أبو حمو الثالث قضوا عليها وقتلوا إسحاق، ثم حاصروا عروج وجنده في تلمسان، وبعد محاولته اختراق الحصار والخروج منه تم القضاء عليه في ماي 1518م بمنطقة بني يزناسن. وأعادوا أبا حمو الثالث إلى الحكم بعد قبوله دفع ضريبة سنوية لهم[55].

**بداية العهد العثماني في الجزائر:**

بعد استشهاد عروج بايع أهل مدينة الجزائر خير الدين خلفا له، فشرع فورا في الاستعداد لمواجهة حملة إسبانية متوقعة، جاءته بأخبارها عيونه، وكذا مراسلات الملك الاسباني شارل الخامس[56]، الذي هدده وطلب منه الرحيل، فأبى ورد عليه برد شديد ومهين، وضاعف من جهوده وتحصيناته، فثارت ثائرة ملك الاسبان وأرسل حملة كبيرة إلى مدينة الجزائر، تحركت في صيف عام 1519م، بقيادة نائب الملك بصقلية، هيجو دومنكاد Hugo de Moncade للقضاء على مدينة الجزائر، الذي أوعز إلى سلطان تلمسان "المتعاون" للتحرك بقواته لدعمه، وذلك حسب الاتفاق الذي كان بينهم أثناء عملية التحضير، غير أن السلطان أبا حمو الثالث قضى نحبه في نفس السنة، وخلفه أخوه عبد الله الثاني الذي لم يكن متحمساً للفكرة كأخيه السابق، وآثر التريث والتروي قبل التدخل، وكذلك أخوه المسعود الذي تنافس معه على الحكم، ولكن الجزائريين بقيادة خير الدين تمكنوا من القضاء على الفتن التي دبت في كل من مدينة تنس ومليانة، اثر استشهاد عروج، بتحريض من سلطان تلمسان أبي حمو الثالث قبل وفاته، وأعدوا العدة الكاملة للتصدي إلى الحملة الإسبانية، التي وصلت إلى السواحل الجزائرية

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

في شهر أوت 1519م، فتصدى لها خير الدين وجيشه من الأتراك وأهل الجزائر، وألحقوا بها خسائر جسيمة. كما زادت العاصفة البحرية التي هبت من خسائرهم[57].

كما أعلن خير الدين إثر هزيمته للاسبان عن رغبته في المغادرة نحو المشرق، كونه بقي وحيدا بعد استشهاد كل من أخويه عروج وإسحاق في تلمسان وسيدي راشد، غير أن أعيان الجزائر وعلماءها وعامتها تمسكوا به وألحوا عليه من أجل البقاء بينهم، فكان رده عليهم بأن أظهر لهم خطورة الوضع في الجزائر والمنطقة، أمام تربص الاسبان ورغبتهم في السيطرة على البلاد. وأشار عليهم بطلب الحماية والإستقواء بالخلافة العثمانية، لذلك نصح أبناء الجزائر بضرورة الاتصال بها والإلحاح في طلب الارتباط بها، والانضواء تحت رايتها كون سلطانها أصبح خليفة المسلمين وسيد أقوى دولة إسلامية، وذلك قصد الحصول على دعمها وتأييدها في مجابهة الطامعين في أرض الجزائر وخيراتها، وخاصة الاسبان، فاستجابوا لذلك وأرسلوا سفارة تحمل كتابا إلى السلطان العثماني سليم الأول[58]، يطلبون فيه الانضواء تحت راية الخلافة العثمانية. وكان ذلك أواخر شهر أكتوبر أو أوائل نوفمبر من عام 1519م. وقد رحب السلطان بالطلب وقبله، وبذلك غدت الجزائر تحت راية الخلافة العثمانية، وأصبح خير الدين حاكما لها تابعا للسلطان برتبة بيلرباي الجزائر[59].

الامر الذي فوت الفرصة على المتآمرين ضد الجزائر، وفي ذلك الإطار كان الاسبان من الأوائل الذين شرعوا في العمل لاستئصال الكيان السياسي الجديد بالمنطقة، والمهدد لمصالحهم ومخططاتهم، وذلك عن طريق القيام باتصالات كثيفة مع عملائهم من أنظمة وجواسيس، والعمل على زعزعة استقراره، إما بشن حملات عسكرية بحرية ضده، أو بتشجيع المناوئين له بالتحريض والتآمر. كما اتصل سلطان تونس بسلطان تلمسان، للعمل على التخلص من الوجود العثماني بالمنطقة[60]، وسعى لزعزعة الدولة الناشئة بالتآمر عليها من الداخل مع ابن القاضي[61]، مما أدى بهذا الأخير إلى التمرد على خير الدين، رغم أنه كان ممثله في الجهة الشرقية من الجزائر، بل وتعاون مع الحفصيين للإيقاع به، بعدما ضبط معهم الأمور في اتصالات جد سرية لم يتمكن حتى خير الدين من الاطلاع عليها، مما عرضه للإشراف مع جيشه على الهلاك في معركة "فليسة أم الليل"، بعد أن مال ابن القاضي وجيشه إلى جانب الجيش الحفصي، فوجد خير الدين نفسه بين نار الحفصيين من جهة، ونار قوات ابن القاضي التي ضربته في الظهر، في حركة مباغتة لم يكن يحسب لها أي حساب، ولم يتمكن من النجاة رفقة قلة من جنوده إلا بأعجوبة، حيث انسحب منهزما إلى مدينة جيجل بدل مدينة الجزائر،

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وطلب من أسطوله أن يغادرها ويلحق به إلى ميناء مدينة جيجل، وذلك قصد استعادة الأنفاس والتفكير في استدراك الأمور التي انفلتت من يده، بينما واصل ابن القاضي زحفه نحو مدينة الجزائر التي دخلها واستقر بها من عام 1521م إلى غاية 1527م[62].

واستطاع اثنائها الاتصال بالعديد من المشايخ بالجزائر، وتمكن أيضا من استمالة قارة حسن قائد القوات التي حركها خير الدين لحربه، والتي أزعجته في أول الأمر، حيث أغراه باقتسام حكم المناطق التي هي تحت يده[63]. غير أن مصادر ومراجع أخرى تنفي تمرد أحمد ابن القاضي الأب على خير الدين، بالاعتماد على مذكرات خير الدين نفسه، وترد الأمر إلى ابنه الذي يحمل نفس الاسم، والذي اتصل بالحفصيين وتعاون معهم بعد وفاة والده بشهرين[64].إن الأحداث التي عصفت بخير الدين في تلك الفترة، جعلته يستوعب الدرس ويفهمه، ويستخلص منه العبر، فشرع بكل حزم وجد في العمل على استدراك الأوضاع في السنوات التي قضاها بجيجل. وكثف من اتصالاته السرية مع بعض أعيان مدينة الجزائر، كما قام بربط اتصالات وعلاقات وطيدة مع أمير قلعة بني عباس[65]، المنافس لابن القاضي، ومد نفوذه إلى بعض مدن الشرق الجزائري الحالي وعلى رأسها مدينة قسنطينة، وذلك للحد من نفوذ السلطان الحفصي والوقوف في وجهه، وفي نفس الإطار عمل على ترصد تحركات الاسبان، ومواصلة الغزو البحري، وإنقاذ أهل الأندلس الذين قام بنقل عدد كبير منهم إلى الموانئ الجزائرية، وعمل على تجديد العلاقة الودية مع السلطان الوطاسي[66].

كما جعل سكان مدينة الجزائر أمام اختبار عسير، حيث تركهم يتجرعون قسوة الحاكم الجديد وغلظته، لكي تكون عودته محمودة ومحل رجاء واستجداء. وأحاط ابن القاضي وحتى مجالسه بجواسيس ينقلون له كل كبيرة وصغيرة في الوقت المناسب، لذلك عندما توفرت الظروف المناسبة، بعد وفاة السلطان الحفصي في تونس، زحف خير الدين وجنده على ابن القاضي براً، وهزمه في منطقة ثنية بني عيشة[67]. مما أدى بأنصار هذا الأخير إلى اغتياله حقناً للدماء. وكان ذلك عام 1527م[68]. وبعد عودة خير الدين إلى مدينة الجزائر أعاد النظر في الكثير من الأمور والقضايا، وعمل على توطيد أواصر ودعائم الحكم بها وفق سياسة جديدة، سوف يكون لها الأثر القوي في المحافظة عليها، واستمرار ازدهارها وريادتها بالمنطقة لمدة ثلاثة قرون، سيتم التعرض لمختلف مراحلها في المقالات الموالية.

**الخاتمة:**

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

خلاصة القول فإن هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، والممتدة من نهاية القرن الخامس عشر، وإلى غاية مطلع القرن السادس عشر الميلاديين، عرفت الجزائر أو مكان يعرف ببلاد المغرب الأوسط، سواءً الأجزاء التي كانت تحت سلطة الزيانيين أو باقي المناطق التي كانت تحت سلطة الحفصيين خاصة في الشرق، ارهاصات خطيرة كادت ان تقضي على والجود الدولي لها، وذلك لما عرفته من أوضاع داخلية وخارجية اتسمت بعدة مميزات واحداث اثرت سلبا على حالة البلاد والعباد منها ما يلي:

- التنافس والتناحر الذي كان قائم بين أفراد الأسر الحاكمة، حيث أصبح كل فرد منهم يرى أنه الاجدر بتولي مقاليد الحكم، وعلى الجميع طاعته والانصياع له، الامر الذي أضعفهم جميعا.

- استعانة الاطراف المتنافسة من أبناء الاسر الحاكمة بالقبائل المحلية، التي كانت تستغل حاجتهم إلى خدماتها وضعفهم نتيجة التنافس والتناحر، للتنمر عليهم وتقليص نفوذهم واضعافهم، ثم تجزئتهم وتفكيكهم.

- ضعف تلك السلطة وتقلص نفوذها أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد، وذلك نتيجة نقص مواردها، واضطرارها إلى تقديم قسط من مداخيلها القليلة إلى القبائل الحليفة، لتأمن شرها.

- ضعف تلك الكيانات جعلها عاجزة عن تجهيز جيوشها، أو حتى الوقوف في وجه القبائل المتمردة عن سلطتها.

- إقدام القوى الدينية الصوفية الناقمة عن سياسة تلك الدول على تأليب الرعية على الطبقة الحاكمة، وذلك بذكر مفاسدهم ومساوئهم، مما زاد في عزلتهم.

- كثرة النزاعات والصراعات بين مختلف الكيانات السياسية التي كانت قائمة في بلاد المغرب آنذاك، والمتمثلة في الدول الثلاث (الزيانيين، الحفصيين، الوطاسيين)، وذلك من أجل توسيع النفوذ على الجيران.

- تعرض بلاد المغرب ولاسيما المناطق الساحلية منها إلى التحرشات والتوسعات الاسبانية والبرتغالية، وقد نالت بلاد المغرب الأوسط أي الجزائر نصيبها من تلك الهجمة الاستعمارية على يد الاسبان، ابتداءً من عام 1505م، وذلك تنفيذا لوصية ملكتهم ايزابيلا المتوفية عام 1504م.

-معاناة أبناء الجزائر من الاحتلال الاسباني الذي ارتكب مجازر في حقهم، واستنزف خيراتهم.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الامر الذي لم يثنيهم عن التفكير في اخرج أنفسهم وبلادهم من تلك الأوضاع الخطيرة، فوجدوا في الاستنجاد والتعاون مع الإخوة بربروسة المخرج الأنجع والأفضل لهم، فاعتمدوه واتصلوا بهم وتعاون معهم في تثبيت أقدامهم بالجزائر، بل عملوا على الانضواء طواعية تحت راية الخلافة العثمانية الإسلامية ابتداء من عام 1519م، فدخلت بذلك الجزائر مرحلة جديدة من تاريخها، عرفت ميلاد الدولة الجزائرية الحديثة بوحدتها السياسية والترابية الحالية تقريبا، وقد شهدت أحداثا جد هامة، بحيث كان لها الأثر البارز في تطور المسار التاريخي للجزائر خاصة، وللمنطقة وكل حوض البحر المتوسط، وحتى السواحل الأوربية المطلة على المحيط الأطلسي وجزرها عامة.

**الهوامش:**

[1] - هم بنو عبد الواد أو بنو زيان، وهي سلالة من قبيلة زناتة الأمازيغية، حكمت بلاد المغرب الاوسط بين 1235م و1554م، وعاصمتهم تلمسان، مؤسس دولتهم يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، ولاه على المغرب الأوسط الخليفة الموحدي عبد الواحد الرّشيد بن المأمون. وقد أطلق السلطان أبو حمو موسى الثاني اسم جدهم عليها بعدما كانت تسمى دولة بني عبد الواد. أنظر: إبن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بور سعيد، مصر، 2001م. وأيضا: يحيى بوعزيز: **المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية**، مجلة الأصالة، العدد 26، السنة 1395هـ، 1975م، ص 20.

[2] - هم بنو حفص، حكموا أرض تونس وأجزاء من الشرق الجزائري حاليا، وينتسبون إلى أبي حفص يحي بن عمر من قبيلة هنتاتة. قامت بعد قطع أبي زكريا يحي بن عبد الواحد تبعيته للدولة الموحدية واستقلاله. وقد أصبحت جزءًا من الدولة العثمانية في عام 1574م. انظر: عبد الرحمان ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 8 مجلدات، المجلد 6، بيروت، 2001م، ص373 وما يليها. وأنظر أيضا: ابن ابي دينار القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، الطبعة الأولى، تونس، 1869م، ص. 123 – 170.

[3] - ينحدر الوطاسيون من قبيلة زناتة الامازيغية بالمملكة المغربية، بدأ ظهورهم في القرن الثالث عشر مع المرينيين، كان تمركزهم في الشمال بمنطقة الريف، ومن هناك بدأ توسعهم حتى أطاحوا بدولة بني مرين، حيث تولوا سنوات (1393م – 1458م) الوزارة والحجابة، غير أن أميرهم محمد الشيخ الوطاسي استطاع أن يستولي على الحكم عندما دخل فاس سنة 1472م، ودام حكمهم إلى غاية سقوطهم عام 1554م. أنظر: ابراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين**، دار الرشاد الحديثة، ثلاثة أجزاء، الجزء الثاني، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000، ص 165 إلى 235.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[4] - عبد الكريم شوقي: **الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث 897هـ-1246هـ/1492م-1930م**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2017م، ص 120.

[5] - عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الأول، الجزائر، 2006، ص 15.

[6] - هي عاصمة الجمهورية الجزائرية وأكبر مُدنها، كانت تدعى إيكوزيوم في العهد الروماني، تقع في شمال وسط البلاد مُطلّة على البحر المتوسط، دخلها الفتح الإسلامي في القرن السابع ميلادي، وأصبحت عاصمة للبلاد التي أخذت اسمها ابتداءً من عام 1519م، تاريخ انضواءها تحت راية الخلافة العثمانية، في عهد السلطان العثماني سليم الأول، سقطت في يد الاستعمار الفرنسي في الخامس من شهر جويلية 1830م، واسترجعت استقلالها واستقلال كل البلاد التي تحمل اسمها في نفس اليوم ونفس الشهر عام 1962م، وهي اليوم عاصمة الدولة الجزائرية. أنظر أحمد مهدي محمد الشويخات ومجموعة من الدكاترة: **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، المجلد 08، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص301 وما يلها.

[7] - عمار بن خروف: كتاب **العلاقات السياسية ...المرجع السابق**، ص 15 - 16.

[8] - **نفسه:** ص16.

[9] - شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1977م، ص 33 وما يلها.

[10] - فيرديناند المدعو فرناندوا الكاثوليكي **Ferdinand le Catholique** (1452م – 1516م)، ملك أراغون من 1479م إلى 1516م، بصفته فرناندو الثاني، وملك صقلية (1468م – 1516م)، وملك نابولي (1504م – 1516م)، وملك فالنسيا وسردينيا ونافار، وكونت برشلونة وملك قشتالة (1469م – 1516م) بصفته فرناندو الخامس كقرين لزوجته الملكة إيزابيلا الأولى، وحاكما فعليا لهذا البلد من عام 1508 إلى وفاته. كان زواجه بملكة قشتالة إيزابيلا الأولى عام 1469م، العامل الرئيسي في بداية الوحدة الإسبانية وقوتها، وقد نجح مع زوجته إيزابيلا في القضاء على غرناطة أخر إمارة للمسلمين في الأندلس عام 1492م، وبداية طرد المسلمين نهائياً منه. أنظر: منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992م، ص 320.

[11] - عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**، ص 121.

[12] - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص 68. وأنظر أيضا: - نبيل عبد الحي رضوان: **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1987م، ص ص 150-152.

[13] - الملكة إيزابيلا الأولى Isabelle la Catholique (1451م - 1504م)، ملكة صقلية عام (1469م - 1504م)، ملكة قشتالة وليون (1469م -1504م)، ملكة إسبانيا بعد زواجها ووحدتها مع مملكة الأرغون (1479م -

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

1504م)، ملكة نابولي 1504م، أثرت في تاريخ أسبانيا. وقد نجحت مع زوجها فرناندو في طرد المسلمين نهائياً من الأندلس عام 1492م. أنظر: منير البعلبكي، المرجع السابق، ص 80.

[14] - علي الغالي الريسوني: **مغرب لا يقهر ولكن...**، مطابع الشويخ، الطبعة الثانية، تيطوان – المملكة المغربية، 2006، ص 19.

[15] - Doncel Gregorio sanchez : **Presencia de España en Orán, 1509-1792**, estudio teologico de san ildefonso semi nario conciliar, toledo, 1991, P 201 -222.

[16] - ميناء بحري جزائري بناه الرومان، ثم تطور عبر الزمن، فيه قلعة على شكل حصن، يعتبر من أحسن الموانئ البحرية في الحوض البحر المتوسط لما يوفره للسفن من حماية وآمان من العواصف البحرية، كان ميناء مزدهر في عهد الدولة الزيانية، احتله الاسبان عام 1505م، يعد من أكبر القواعد العسكرية البحرية على مستوى البحر الأبيض المتوسط، ويقع غرب مدينة وهران. أنظر: مارمول كربخان: **إفريقيا**، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ترجمة محمد حجي وآخرون، ثلاثة أجزاء، الرباط – المملكة المغربية، 1984، الجزء الثاني، ص 327 – 328. وأنظر أيضا: حسن الوزان: **وصف افريقيا**، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1983م، ص31.

[17] - E. Pellissier: **Mémoires historiques et géographiques sur l'Algérie,** Imprimerie Royale, Paris, France, 1844, p 07 -08.

- أنظر أيضا: أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص ص 96-98.

[18] - وهران مدينة جزائرية ساحلية، تقع في شمال غرب البلاد، تعد مركزا اقتصاديا وميناءً بحريًا هامًا. شّدت منذ القدم اهتمام الطامعين، فتعرضت إلى عدة غزاة أشهرهم الاسبان 1509م 1792م، والفرنسيين 1831م 1962م. أنظر: - **يحي بوعزيز: وهران**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص 25-31.

[19] - عبد القادر فكاير: **آثار الاحتلال الاسباني على الجزائر خلال القرون 10-12هـ/16-18م. دراسة تناولت الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمخلفات العمرانية**، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر، ص 23 -24. وأنظر أيضا: - أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص110-112، وأيضا: - يحيى بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 66-67.

[20] - بجاية، صالدى، الناصرية، وبوجي (Bougie)، مدينة جزائرية ساحلية تقع في الشمال الشرقي للبلاد، أسسها الناصر بن علناس أحد ملوك بني حماد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، كان لها شأن عظيم في التاريخ. أنظر: أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ...**، المرجع السابق، ص 124 وما يليها.

[21] - **نفسه:** ص 119- 120.

[22] - عاصمة دولة ليبيا اليوم، مدينة ساحلية تطل على البحر التوسط، وهي مدينة تاريخية كان لها تاريخ حافل، وتعاقبت عليها عدة أحداث. أنظر: حسن الوزان: **المصدر السابق**، ص 97.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[23] - جزيرة تونسية تقع على الساحل الشرقي، لها تاريخ هام وثري، تعرضت إلى محاولة احتلال من طرف الاسبان في مطلع القرن السادس عشر ميلادي. أنظر: حسن الوزان: **المصدر السابق**، ص 93.

[24] - هيبون، بونة، مدينة جزائرية ساحلية، تقع في أقصى الشمال الشرقي، أسست في القرن ال12 ق.م، عاش فيها القديس أوغسطين (354م-430م). أنظر: حسن الوزان: **المصدر السابق**، ص 61. وأنظر أيضا: أحمد مهدي محمد الشويخات ومجموعة من الدكاترة: **المرجع السابق**، المجلد 16، ص 673.

[25] - مدينة وميناء جد استراتيجي يقع في ضواحي مدينة تونس العاصمة. أنظر المزيد في: - حسن الوزان: **المصدر السابق**، ص 70.

[26] - عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، المجلد الثالث، الجزء الخامس، القاهرة، مصر، 1994، ص 188 - 189.

[27] - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ....** المرجع السابق، ص 127-128.

[28] - الدولة العثمانية هي دولة إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغرل، استمرت قائمة لما يزيد عن ستة قرون، (1299م - 1923م)، بلغت ذروة وقوتها في القرنين الـ 16 و17، شملت أنحاء واسعة من قارات أوروبا وأسيا ، افريقيا، وصل عدد الولايات العثمانية إلى 29 ولاية، حملت لواء الخلافة الإسلامية منذ عام 1516م. أنظر المزيد في: خليل اينالجيك: **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، دار المدار الاسلامي، ترجمة محمد.م. الارناؤوط، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان، 2002.

[29] - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ....** المرجع السابق، ص 227.

[30] - عبد الجليل التميمي: **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م**، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 06، جويلية 1976، ص118.

[31] - الإخوة بربروس هم أربعة إخوة: إسحاق، وعروج، وخير الدين (خسرف)، ومحمد الياس، أبوهم يعقوب بن يوسف عثماني من الجيش الانكشاري، حملوا لواء الجهاد ضد الصليبيين في البحر المتوسط منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، كان للثلاثة أي إسحاق، وعروج، وخير الدين (خسرف) أثر كبير في تاريخ الجزائر، وتطور الأحداث بها في العصر الحديث. أنظر المزيد في: : - مجهول: **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر العاصمة، 2010م. أنظر: - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ....** المرجع السابق، ص 155 وما يليها.

[32] - عَرُّوج بَرْبَرُوس (أَرُوتْشْ) بالتركية (1470 – 1518)، كان قائدا عثمانيا وبحارا متمرسا، ولد في جزيرة ميدللي، وتوفي في تلمسان بالجزائر، اشتغل بالتجارة في مطلع شبابه، عُرف لدى الأوربيين بلقب بَارْبَارُوسَّا، أي ذو اللحية الحمراء، أنقذ الآلاف من الأندلسيين ونقلهم إلى شمال أفريقيا، تزعم رفقة أخويه خير الدين، وإسحاق، حركة الجهاد في البحر الأبيض المتوسط في مطلع القرن السادس عشر. أنظر المزيد في: - مجهول: **مذكرات خير الدين ... المصدر السابق**. أنظر: - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، المرجع السابق، ص 155 وما يليها.

[33] - خير الدين بربروس (1472م – 1546م) اسمه الأصلي خضر بن يعقوب (الابن الثالث)، ولد في جزيرة ميدللي، لقبه السلطان سليم الأول بخير الدين باشا، تولى منصب أمير أمراء الجزائر، وعين أيضا كقائد عام

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

لجميع الأساطيل البحرية العثمانية. أنظر المزيد في: - مجهول: **مذكرات خير الدين... المصدر السابق**. أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ...**، المرجع السابق، ص 155 وما يليها.

[34] - اسحاق بربروس الابن الأكبر ليعقوب بن يوسف، أكبر من عروج بعامين، ولد في جزيرة ميدللي، جاهد إلى جانب أخويه عروج وخير الدين في البحر الابيض المتوسط ضد الصليبيين، وفي الجزائر، كما زحف مع عروج على تلمسان، حيث استبقاه في قلعة بني راشد استشهد عام 1517م. أنظر المزيد في: - مجهول: **مذكرات خير الدين... المصدر السابق**. وانظر أيضا: - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ...**، المرجع السابق، ص 155 وما يليها.

[35] - أبو عبد الله محمد بن الحسن المتوكل (1494م – 1526م) أمير حفصي ينحدر من مدينة بجاية شرق الجزائر، ورث الحكم عند وفاة السلطان يحي أبي زكرياء. ولم تكن له رغبة في الحكم. في عهده ثارت القبائل، في جهات عديدة، وسيطر الاسبان عام 1510م على كل من بجاية وطرابلس، توفي عام 1526م وخلفه ابنه أبو عبد الله الحسن بن محمد. اهتم بالثقافة والفنون، ومن أهم أعماله تأسيس المكتبة العبدلية حوالي عام 1500م بجامع الزيتونة. أنظر المزيد في: - روبار برنشفيك: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، دار الغرب الإسلامي مطابع الشرق، ترجمة حمادي الساحلي، بيروت، لبنان، 1988، الجزء الأول، ص 310.

[36] - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص 33-35.

[37] - مدينة قسنطينة (Constantine)، وتسمى مدينة الجسور وعاصمة الشرق الجزائري، وهي مدينة تاريخية تعود إلى العهد النوميدي (قرطة ثم سيرتا)، تعاقب عليها الاستعمار بمختلف أشكاله، غير أنها عرفت تألقا في العهد الاسلامي، وأصبحت منارة علم، دخلها الاستعمار الفرنسي عام 1837م، بعد معركة قسنطينة الثانية واستبسال ابنائها في الدفاع عنها. شارك أبناؤها في الحركة والوطنية والثورة، وفي بناء الجزائر المستقلة. أنظر أحمد مهدي محمد الشويخات ومجموعة من الدكاترة: **المرجع السابق**، المجلد 18، ص 186 - 187.

[38] - مجهول: **مذكرات خير الدين ...المصدر السابق**، ص 52 – 53. وانظر أيضا: أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، المرجع السابق، ص 163 - 164.

[39] - أحمد توفيق المدني: **نفسه**، ص 165.

[40] - شارل فيرو: **تاريخ جيجلي**، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 95-96.

[41] - جيجل مدينة جزائرية ساحلية تقع في الشمال الشرقي، أصل تسميتها إجيلجلي. وقد أختلف في مصدره بين من يقول قرطاجي أو أمازيغي، يعود تاريخ إنشائها إلى القرن السادس قبل الميلاد، كانت ما زالت مركزاً تجارياً ومرفأ آمناً. أنظر أيضا: - شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 11 وما يليها.

[42] - جنوة (Genova)، مدينة وميناء بحري شمال إيطاليا، ذات تاريخ مجيد، وتقاليد عريقة وقوية متعلقة بالثقافة البحرية ليس بمنطقة البحر المتوسط فحسب، حيث تُعد أحد الأقطاب الاقتصادية الإيطالية

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الرئيسية. وميناؤها في التجاري هو الأكبر بالبلاد، ومن بين أكبرها بالبحر الابيض المتوسط. أنظر: - أحمد مهدي محمد الشويخات ومجموعة من الدكاترة: **المرجع السابق**، المجلد 08، ص 533.

[43] - مجهول: **مذكرات خير الدين ...المصدر السابق**، ص 70 – 71. وأنظر أيضا: أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، المرجع السابق، ص 163 - 165.

[44] - السلطان سليم الأوّل هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية، وأول من حمل لقب أمير المؤمنين من آل عثمان. حكم (من 1512م إلى 1520م)، حيث وصل إلى السلطنة بعد انقلاب قام به على والده، بايزيد الثاني بدعم من الجيش الإنكشاري. غزا بلاد فارس وهزم الصفويين في 1514م، وبلاد الشام 1516م، ومصر بعد هزيمته للمماليك عام 1517م، وضم الحجاز واليمن. وكان من نتائج فتوحات السلطان سليم الاول أن ازدهرت الدولة العثمانية في أيام ابنه وخليفته سليمان القانوني. أنظر: - محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان، 1981م، ص 188 – 192.

[45] - مجهول: **مذكرات خير الدين ...المصدر السابق**، ص 64 - 69.

[46] - بسام العسلي: **خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547م**، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980م، ص 93-95.

[47] - Fray Diego de Haëdo, Abbe de Fromesta : **Histoire des rois d'Alger**, traduite et annotée par H.-D. de Grammont, Adolphe Jourdan, Libraire – Editeur, 1881. P 22 – 24.

[48] - كورين شوفالييه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 - 1541**، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م، ص 30-31.

[49] - يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر ...، المرجع السابق**، ص 36-37.

[50] - مدينة جزائرية عتيقة تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط، إلى الشرق من مدينة الجزائر بها ميناء هام، يشتهر سكانها بامتهان حرفة الصيد، البحري والفلاحة، والموسيقى. أنظر المزيد في: حسن الوزان: **المصدر السابق**، ص 42.

[51] - مدينة جزائرية عتيقة تقع جنوب مدينة الجزائر، على بعد 90 كلم تقريبا، بعد جبال الاطلس التلي، يعود تاريخها إلى عهد قديم، إذ دلت الحفريات على وجود مدينة رومانية بها كانت تسمى مديكس، بالقرب من موقعها الحالي. تداولت عليها عدة حضارات وسكنتها الكثير من الشعوب، حتى دخلها الاتراك وأعادوا اعمارها وجعلوها قاعدة مهمة لهم، واسكنوا فيها قبائلهم وعشائرهم التركية، وبنوا فيها القصور والحمامات والصور التركي، واتخذوا منها عاصمة لبايلك التيطري، بعد تقسيم حسان باشا البلاد إلى ثلاث بيايلك، وعين أول باي لها عام 1547م. كما سكنها المسلمون اللاجئون من الأندلس ومعهم اليهود الفارين من الأندلس آنذاك. أنظر: حسن الوزان: **المصدر السابق**، ص 41.

[52] - مدينة جزائرية عتيقة تقع في الداخل، إلى الغرب من مدينة الجزائر، بناها الرومان وأسموها ماكنانة، تقع على قمة جبل، عرفت عدة تطورات في عمرانها عبر العصور، سكنتها قبائل أمازيغية في أول الأمر غير أنها عرفت

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

قدوم أعداد هائلة من الأندلسيين والأتراك في القرن السادس عشر الميلادي، وهي اليوم تابعة لولاية عين الدفلى، يشتهر سكانها بامتهان حرفة الفلاحة، والصناعات التقليدية أنظر: **نفسه**، ص 34-35.

[53] - مجهول: **مذكرات خير الدين ...المصدر السابق**، ص 6486. وانظر أيضا: بسام العسلي: **المرجع السابق**، ص 98 - 100.

[54] - أبو حمو الثالث الملقب ببوقلمون تولى الحكم في تلمسان عام 1503م بعد عزل ابي زيان احمد (المسعود) بن محمد الثابتي وسجنه. فر إلى اسبانيا أمام حملة عروج على تلمسان ثم عاد إلى الحكم بمساعدة الاسبان عام 1518م، وقتل عروج، ومات أبو حمو في نفس السنة. أنظر: مبارك بن محمد الهلالي الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، ثلاثة أجزاء، الجزء الثاني، الجزائر، 1964، ص 463.

[55] - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، المرجع السابق، ص 187 - 192.

[56] - **شارل الخامس** (1500م – 1558م)، بالإنجليزية Charles V، حاكم الامبراطورية الرومانية المقدسة منذ عام 1519م، وللممالك الاسبانية من 1516م حتى تنازله عن الحكم في 1556م. قام بتوحيد عدة ممالك ضمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة (إسبانيا، نابولي، صقلية، هولندا البورغونية، ألمانيا، إضافة إلى مستعمرات إسبانيا في أمريكا). هو ابن فيليب الأول وخوان ملكة قشتالة. جداه من ناحية الأب هما الإمبراطور ماكسيمليان الأول، وماري دوقة بورغونيا. وجداه من ناحية الأم هما فرديناند الثاني ملك أراغون، وإيزابيلا الأولى ملكة قشتالة. في 10 مارس 1526م تزوج شارل الأول من ابنة عمه إيزابيلا أخت جون الثالث ملك البرتغال. وأنجب منها فيليب الثاني، وماريا وجون أنظر المزيد: محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1981م، ص 204.

[57] - مجهول: **مذكرات خير الدين...**، المصدر السابق، ص 93 - 94. وأنظر أيضا: - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، المرجع السابق، **ص 205 210**.

[58] - السلطان سليم الأوّل هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية، وأول من حمل لقب أمير المؤمنين من آل عثمان. حكم (من 1512م إلى 1520م)، حيث وصل إلى السلطنة بعد انقلاب قام به على والده بايزيد الثاني بدعم من الجيش الانكشاري. غزا بلاد فارس وهزم الصفويين في 1514م، وبلاد الشام 1516م، ومصر بعد هزيمته للمماليك عام 1517م، وضم الحجاز واليمن. وكان من نتائج فتوحات السلطان سليم الاول أن ازدهرت الدولة العثمانية في أيام ابنه وخليفته سليمان القانوني. أنظر: محمد فريد بك المحامي: **المرجع السابق**، ص 188 – 192.

[59] - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، المرجع السابق، ص 198. يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق**، ص36-37.

[60] - مجهول: **مذكرات خير الدين... المصدر السابق**، ص98.

[61] - أحمد بن القاضي الغبريني من قبيلة زواوة، أسس إمارة محلية في مطلع القرن السادس عشر، كان مقرها الرئيسي في جبل كوكو بسلسلة جبال جرجرة، قرب عين الحمام. تحالف أول الامر مع الاخوة بربروس وحارب معهم، كما ساهم في قيام ملكهم، وانضواء الجزائر تحت راية الخلافة العثمانية، ثم انقلب خلفه على خير الدين

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

عام 1520م، وتحالف مع السلطان الحفصي. أنظر: أرزقي شويتام: **إمارة كوكو (1511-1767)**، مطبوعات المحافظة السامية للأمازيغية، ملتقى إمارة كوكو، تيزي وزو، 2010.

[62] - أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، المرجع السابق، ص 211 - 215.

[63] - عمار بن خروف: **العلاقات...**، المرجع السابق، ص 26.

[64] - مجهول: **مذكرات خير الدين... المصدر السابق**، ص 109. وأنظر أيضا: - أرزقي شويتام: **المرجع السابق**، ص 11 - 12.

[65] - هو عبد العزيز ابن أحمد ابن عبد الرحمان، الذي أسس إمارة بني عباس ما بين (1512-1559) في قلعة بني عباس بعد أن استقر أول الامر في نواحي جبال البيبان، بقرية موقة، وبعد ذلك استقر نهائيا في قلعة بني عباس جنوب ولاية بجاية حاليا، وبويع هناك أميرا احترامًا لنسبه الشريف، وقوته، وحكمته، وعلومه خاصة في مجال الدين الإسلامي، وفي عام 1500م بنى الأمير أحمد نجل الأمير عبد الرحمن الحصون، وأسوار وأبواب القلعة. وتوفي بها وخلفه ابنه الأمير عبد العزيز الذي آلت إليه الإمارة فيما بين (1512-1559). ولكن سوء علاقته بالأتراك أدخله في حرب طاحنة معهم، انتهت بهزيمته وقتله سنة 1559م، وخلفه ابنه السلطان أحمد امقران الذي تنتسب إليه عائلة المقراني، التي امتدت رقعة حكمها حتى ولاية بسكرة حاليا. انظر المزيد في: -أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، المرجع السابق، ص 211 - 215.

[66] - عمار بن خروف: **العلاقات...**، المرجع السابق، ص 27.

[67] - منطقة تابعة إقليميا اليوم إلى ولاية بومرداس، تقع على بعد حوالي 70 كلم شرق مدينة الجزائر، عبد الهادي قطش، عبد الرحمن احمد ادريس: **أطلس الجزائر والعالم**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

[68] - مجهول: **مذكرات خير الدين... المصدر السابق**، ص114-115.